موقف الكنيسة في حركة الاصلاح الديني في المانيا م.اناس حمزه مهدي
جامعة بابل /كلية التربية الاساسية

(لمحة تاريخية عن المجتمع الاوربي فترة العصور الوسطى)

جاءت العصورالوسطى بعد العصورالقديمة لتقطع من تاريخ الإنسانية حوالي عشرة قرون من الزمان. وهناك كثير من الآراء والأفكار والنظريات التي قامت حول بداية العصور ونهايتها،ولكن من المرجح أنها تبدأ بالقرن الخامس الميلادي وتنتهي بالقرن الخامس عشر أو السادس عشر الميلادي حددت بدايتها بسقوط روما وانهيارالإمبراطورية القديمة علـى أيدي الجرمان البرابرة سنة ٤٧٦م ،وجاءت نهايتها بسقوط القسطنطينية في أيدي الأتراك العثمانيين سنة ١٤٥٣م ، أو بحركةالاصلاح الديني التي ظهرت في القرن السادس عشر في أوربا.

قسم المؤرخون الغربيون الحديثون تلك العصور الى حقبتين متميزتين: شملت الحقبة الأولى العصور المظلمة وتقع بين عامي ٤٠٠ و١٠٠٠ م ، أما الحقبة الثانية فهي العصور الوسطى الحقيقية ، وشغلت القرون الخمسة أو الستة التالية ، وهناك من قسمها إلى ثلاث حقب هي : العصور الوسطى المبكرة،والعصور الوسطى الحقيقية ،والعصور الوسطى المتأخرة ،وهذا لايعني إطلاقاً انه يوجد خط فاصل بين هذه الفترات ، إذ كانت متصلة ببعضها وان تميزت كل فترة منها بخصائص معينة ، ثم انه ليس بالإمكان القول بأنه يوجد تمييز محدد واضح بينها من ناحية و أخرى،إذ تداخلت عناصر الفكر في بعضها في مختلف عصور التاريخ .

وسيتم التركيز في البحث علـــى مرحلة التاريخ الوسيط الذي شهد ظهور النظام الإقطاعي وسيطرته والكنيسة علـــى المجتمع الأوربي كمدخل للدراسة ويتم التركيزعلى الكنيسة وماواجهته من ثورات وحركات عرفت بحركات الإصلاح الديني، وكان ابرزها الثورة اللوثرية في المانيا والثورة الكلفنية في فرنسا .

كان النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي السائد في القارة الاوربية نظاماً اقطاعياً قائماً على اعمدة تمثلت بالنبلاء الاقطاعيين والكنيسة والاكليروس، اصحاب السلطة ويتمتعون بامتيازات اقتصادية واجتماعية وسياسية،في حين كانت اكثرية الشعوب محرومة منها(١) . اعتبرنظام الاقطاع* من المقومات الأساسية التي تمحورت حولهاالحياة الاوربية في العصور الوسطى وقد استمر هذا النظام من بداية العصور حتى القرن الثالث عشر الميلادي ولم ينشأ اعتباطاً وإنما جاء نمواً طبيعياً وتطوراً للحالة الاجتماعية التي استدعت وجوده ، وقد ساعد الاقطاع على صيانة النظام الاجتماعي الاوربي في تلك الفترة بأيجاد حكومات قوية وصالحة تمكنت من أن تدير شؤون الحكم (٢).

ظن البعض إن العصور الوسطى عصور تأخر وانحطاط وهو وصف لايمت للحقيقة بأية صلة ولعل هذا التصور يرجع الى الأثر الذي أحدثه انبثاق العصر الحديث بما حمله من نهضة وتقدم في اذهان الناس وواقع الأمر ان العصور الوسطى تعتبر من أهم فترات التاريخ الاوربي بل هي الاساس الذي نستطيع من خلاله ان نفهم التاريخ الحديث وذلك بدراسة أهم مظاهر العصور الوسطى في اوربا (٣).

إن الإقطاعية صفة خاصة بالعصر الوسيط وبأوربا الغربية في هذا العصر ،ولكن هذا لا يمنع من وجود سلطة إقطاعية في غير أوربا قد تشبه الاقطاعية الاوربية في العصرالوسيط من بعض الوجوه وتختلف عنها في وجوه اخرى (٤).

كان الاقطاع السمة الرئيسة للعصور الوسطى حتى دل احداهما على الاخرحيث قام النظام الاقطاعي في اوربا على اساس اقتران الارض بحق امتلاك نواحي الحكم والسلطان على من يملك تلك الارض من الناس وبالتالي اصبح معظم اهل الريف يعيشون في حالة انتقالية بين الحرية والرق وهي الحال التي عرفت باسم القنية (serfdom) في مطلع العصور الوسطى ومابعدها (٥) ،وهو القاعدة التي ارتكز عليها السلم الاقطاعي وكان الاقنان ادنى الطبقات في هذا السلم ،لكنهم لم يهبطوا الى مستوى العبيد الذي شاع استخدامه في العالم القديم في اوربا (٦).

الاقطاع حصيلة تطورالمؤسسات الاجتماعية والسياسية الذي ولدته القرون التي اعقبت سقوط الامبراطورية الرومانية في ٤٧٦م فمنذ بداية القرن الخامس للميلاد كانت المساواة المدنية مفقودة في المجتمع الروماني وقد وقعت الطبقات الدنيا من الاحرارتحت نفوذ النبلاء الاقوياء فكان الفقراء يلجأون الى الاغنياء لطلب حمايتهم وانقاذهم من حمل الضرائب الذي اثقل كاهلهم مقابل تنازل الفقيرعن قطعة ارضه وهكذا كانت الاراضي تنتقل الى ايدي النبلاء الذين اصبحت لهم سيطرة فعلية على اتباعهم نتيجة حمايتهم لهم، ولهذا زالت العلاقات القديمة بين الدولة والفرد او بين الفرد وعشيرته واصبحت الواجبات فردية بين السيد والتابع فالاول مسؤول عن حماية الثاني وليس للثاني الحق في ان يترك سيده الا اذا اثبت انه اراد (بدون حق) جعله عبدا له او تعرض لزوجته او تآمر على حياته .

(٢)

انتشر هذا النظام حتى انه عم الغرب باسره وحتى ان بعض الملوك اصدروا اوامرهم التي نصت على اجبار كل من بقي حراً ًباختيار سيداً ًلايحق تركه وليس لاحد ان يقبله بدون سبب عادل(٧).

عد ظهور الاقطاع من الامور الايجابية التي انقذت اوربا من الفوضى والاضطراب السياسي الذي اجتاحها وآمنت للفرد الحماية وهوالوسيلة التي ارادت بها اوربا إيجاد نوع من الحكم يفي باحتياجات الفرد، لذلك كان الاقطاع
معروفا بعقد اجتماعي مقبول يحدد واجبات وحقوق الاقطاعي وتابعه بشكل متبادل وملزم للطرفين ، ولم يكن هذا العقد مكتوبا إلا في حالة استثنائية وكان يجري وفق مراسم خاصة تسمى الولاء او القسم (٨).

بلغ الاقطاع اوج مراحل نضجه في القرنين العاشر والحادي عشرالميلادي في اكثر البلدان الاوربية الغربية حيث ان الملكية الواسعــة للاقطاعيين الكبار الى جانب الملكية الصغيرة للفلاحين ، واعمال السخرة التـي كان يؤديها الاخيرون لسيدهم الاقطاعي والاقتصاد الطبيعي المحدود كانت من السمات الرئيسية للحياة الاقتصادية الاوربية في تلك الفترة(٩).

وعلى الرغم من المكانة التي شغلها النظام الاقطاعي في اوربا بدا الانحلال يدب في الاقطاع باعتباره نمطا انتاجيا ونظاما سياسيا واتجاها فكريا في اواخرالعصورالوسطى نتيجة للتحولات السياسية والاقتصادية والفكرية خاصة في الفترة الممتدة ما بين القرن الثاني عشر ونهاية القرن الخامس عشرالميلاديين وكان انهيار الاقطاع ياتي في مقدمة التحولات التي جرت في اوربا في نهاية العصور الوسطى(١٠).

وحينما تلاشت الظروف التي نتج عنها ،صار النظام الاقطاعي عبئا" ثقيلا على كاهل الحكومات والناس معا ، ومن اسباب انهيار النظام الاقطاعي نشوء الطبقة البرجوازية(١١) التي ناضلت ضد الاقطاع طول عصر النهضة واتخذ نضالها اشكال ثورية برزت في الثورات الفلاحية التي جرت في روسيا والمانيا وفرنسا وانجلترا وفي حركة الاصلاح الديني التي ادت الى تدمير بقايا النظام الاقطاعي وزعزعت وجوده في جميع انحاء اوربا (١٢).

(٣)

ان التطور الاقطاعي يرتبط ارتباطا قويا بالحياة الاوربية في العصور الوسطى من النواحي الاقتصادية والاجتماعية بل الدينية ومهما كان من امر فان النظام الاقطاعي في غرب اوربا بلغ مرحلة حاسمة وحرجة من مراحل تطوره ونموه في القرن التاسع عشر ، واعتبره بعض المؤرخين مسؤولا عن سقوط امبراطورية شارلمان (١٣).

ومن الواضح ان عملية التطور الاقطاعي تعني تنازل السلطة المركزية في الدولة عن حقوقها وواجباتها بسبب ضعفها وعجزها عن مواجهة الاخطار المحيطة بها مما دفع الملك الى اختيار بعض ذوي النفوذ لينعم عليهم بحقوق وامتيازات في نطق معينة مقابل شروط خاصة (١٤)

ا:كنيسة العصور الوسطى

مثلما اعتبر الاقطاع سمة العصور الوسطى فالكنيســة هي الاخرى عدت من اهم معالم هذه العصور والتي امتدت لاكثر من الف عام من القرن الرابع وحتى القرن الخامس عشر للميلاد في وقت كان العالم الوسيط يسير وفقا" لما تراه الكنيسة وبالقدر التي تسمح به .(١٥)

بدات الديانة الوثنية بالاندثار مع نهاية القرن الرابع للميلاد بعد فشل المحاولة التي قام بها الإمبراطور (جوليان المرتد) عندها بدات المسيحية تاخذ وضعها الطبيعي داخل المجتمع ، وواقع الامر ان الدور الذي لعبه الامبراطور (قسطنطين) في مطلع القرن الرابع كان له الاثر الكبير في علو شأن المسيحية حتى انه جاز القول ان المسيحية اعتلت العرش مع قسطنطين (١٦) .

تميزت العصور الوسطى بتاثير الدين عموما على تفكير الناس حيث كانت للكنيسة الرومانية ولرجال الدين سيطرة مطلقة ولها الاثر الفعال في توجيه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ففي العصور الوسطى كانت الرهبنة تعتبر المثل الاعلى للحياة وكان التفكير ينصب علـــى الناحية الدينية دون الاهتمام يالنواحي الدنيوية الاخرى ،وعلى هذا الاساس ازداد نفوذ الكنيسة وقوة سلطاتها واصبحت تسيطر على الناحية الفكرية (١٧).

(٤)

اتسمت العصور الوسطى بصراع حاد بين الإمبراطورية والكنيسة وتعود أسبابه إلى نمو هاتين القوتين نمواً ملحوظاً ومحاولة كل منهما الاعتداء على حقوق الأخرى ، ولكل منها ميدانه الخاص فالبابوية كانت لها السيادة الروحية، في حين اختصت الإمبراطورية بالناحية الزمنية ومحاولة كل منهما إن تكون لها السيطرة على حساب الأخر وفي نهاية الأمر أدى الصراع إلى إضعاف السلطتين معا (١٨).

ظهرت الكنيسة المسيحية في ظل الإمبراطورية الرومانية القديمة ،وبعد زوال الدولة الرومانية حلت الكنيسة الكاثوليكية محلها في روما ، حيث نظمت بشكل هرم يرأسه البابا الذي ينتخبه مجلس الكرادلة ويليه في الرتبة الكاردينال وثم رئيس الأساقفة ،فالأسقف ،فالقس . وكان اهتمامهم منصباً على إدارة شؤون الكنيسة وممتلكاتها لذا أطلق على هذا النوع من الموظفين الكنسيين بـ (موظفين دنيويين) secular وكان بعض من رؤساء الأساقفة حكاماً لعدة مدن أو مقاطعات .في حين سمي الصنف الأخر من الموظفين الكنسيين وهم الرهبان والراهبات والمزهدين الذين عاشوا في الأديرة وعملوا على إعداد الناس للآخرة بـ (رجال الدين الاعتياديين) regular (١٩).

وعلى ما يبدو إن الكنيسة أرادت أن تحل محل الإمبراطورية الرومانية ومما يدعم قولنا هذا وجود التشابه الواضح بين التنظيم الكنسي والتنظيم الإمبراطوري في عهد الإمبراطوري الرومانية ، فالبابا يمثل الإمبراطور ومجلس الكرادلة عبارة عن مجلس الشيوخ الذي ينتخب الإمبراطور ، ورؤساء الأساقفة يمثلون حكام المقاطعات (٢٠) .

كانت الكنيسة تمتلك أراضي واسعة في أوربا ،و لها قوانين ومحاكم خاصة بها تنظر في قضايا الزواج والإرث والوصايا وموظفوها يشرفون على المدارس والجامعات والملاجئ والمستشفيات وتمتعت فوق ذلك بسلطة سياسية عظيمة وفرضت الضرائب على الناس في أمور الدول الأوربية (٢١) .

ويبدو دور الكنيسة في حفظ التراث الروماني وإحيائه أعمق وأكثر استقرارا"من غيرها من المراكز كمأنها ورثت تراث الحضارة الرومانية حتى
صبحت أعظم أداة حضارية في غرب أوربا بفضل إشراف البابوية التي أخذت تكتسب طابعاً عالمياً واضحاً فمنذ عهد البابا جريجوري العظيم (٥٩٠- ٦٠٤م) وبفضل مساعدة الميروفنجين والكارولنجين من بعدهم . عدا جهود ذلك الجيش الضخم من رهبان الاديرة ورجال البعثات الدينية التبشيرية الذين كافحوا في سبيل نشر المسيحية الكاثوليكية ، وقد استغرقت هذه العملية أربعة قرون نجحت بعدها الكنيسة في إقامة إمبراطورية مسيحية وإكساب غرب أوربا ذلك الطابع الذي ميزه في العصور الوسطى(٢٢).

وعلى أية حال فان اثر الكنيسة لم يقتصر على نشر المسيحية والحضارة الرومانية وإنما أسهمت أيضا بجهودها الفعالة في تنظيم الحياتين الاقتصادية والاجتماعية في غرب أوربا ، ويرجع لها الفضل في إقرار الأمن والسلام والقضاء على الكثير من مظاهر الفوضى التي أصبحت في أوربا غداة سقوط الإمبراطورية الغربية في القرن الخامس الميلادي فقد حاربت الكنيسة مبدأ الأخذ بالثأر وعملت على رفع شأ ن المرأة واحترامها والمحافظة على حقوقها كل ذلك بالإضافة الى نشر الحضارة والتعليم بين المجتمعات المختلفة في غرب أوربا عن طريق المؤسسات الدينية العديدة كالأديرة والكاتدرائيات.(٢٣)

مرت الكنيسة في تاريخها الطويل بين المجتمع الغربي الوسيط بمراحل رئيسة ثلاث: شغلت المرحلة الأولى القسم الأول من العصر الوسيط أي الفترة من أواخر القرن الخامس حتى القرن العاشر الميلادي تقريبا وتميزت بظهور المسيحية وانتشارها وتأسيس الكنيسة الرومانية والبابوية في روما ، والمرحلة الثانية شغلت الفترة الوسيطة من القرون الوسطى أي القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الميلادي ، وتميزت هذه المرحلة بالصراع العنيف بين الإمبراطورية والبابوية في سبيل السيادة العلمانية وبلغت البابوية فيها ذروة مجدها ،على الرغم من حملها بين طياتها عوامل الضعف والانهيار، والمرحلة الثالثة والأخيرة والتي شغلت القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين كان من ابرز خصائصها الفساد الذي تغلغل في الكنيسة وتدهور نفوذ البابوية وهيبتها وظهور حركات الإصلاح الكنسي مثل حركة يوحنا و كليف و يوحنا هس في بوهيميا ولوثر في المانيا وكلفن في فرنسا (٢٤).

عدت الكنيسة بالفعل دولة أضخم بكثير من الدولة الزمنية أو المدنية ولذا تمتع رجال الدين بالكثير من الامتيازات والحقوق المدنية التي لم يكن يتمتع

(٦)

بها باقي أفراد المجتمع كالإعفاء من الضرائب المدنية ومحاكمتهم أمام محاكم الكنيسة التي كانت تخضع في تنظيمها وأحكامها للقانون الديني وهو يختلف كل الاختلاف عن القانون المدني ، فرجال الدين في أوربا الغربية كانوا يخضعون كلية لسلطان الكنيسة بينما يتوزع ولاء الفرد العادي بين الكنيسة والدولة المدنية ، وابرز مظهر لنفوذ الكنيسة تمثل في سيطرتها على التعليم في جميع مراحله (٢٥).

كانت الحياة في المجتمع الأوربي في العصور الوسطى تخضع لعاملين مهمين هما سيطرة الكنيسة الكاثوليكية من الناحية الروحية والثقافية والعامل الثاني هو النظام الإقطاعي كقاعدة للحياة الاقتصادية حيث كان الناس في أوربا يدينون بالمسيحية ويكونون فيما بينهم مجتمعا موحداً من الناحية الدينية وفيه الإشراف الروحي والقيادة الروحية في يد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، وكان المجتمع الأوربي المسيحي موزعاً من حيث ولائه الديني بين مذهبين أو كنيستين(٢٦) الكنيسة الشرقية التي كان على رأسها بطريق القسطنطينية وشمل نفوذها منطقة البحر المتوسط من السكان الذين يتكلمون اليونانية ولهذا سميت بالكنيسة اليونانية الأرثوذكسية ، أما الكنيسة الغربية فقد سميت بالكاثوليكية وكان على رأسها بابا روما وسيطرت على المنطقة اللاتينية التي تتكلم اللاتينية كلغة رسمية على الأقل في أوربا (٢٧).

ظهرت الديانة المسيحية في أخريات التاريخ القديم وكانت قد تأصلت جذورها واعترف بها ديانة رسمية للدولة بعد صراع عنيف بينهما وبين الوثنية القديمة من جهة وبينها وبين الأباطرة الرومان من جهة أخرى الذين وجدوا فيها منافساً خطيراً لسيادتهم ونفوذهم وكان من نتيجة الاضطهاد الذي وقع على المسيحيين في تلك القرون الاولى هو تأسيس الكنيسة الرومانية التي كان لها شأن خطير في تأريخ العصور الوسطى وفي سياستها وحضارتها وبمرور الوقت اخذت كنيسة روما بالتفوق على باقي الكنائس المسيحية كما اصبح لأسقفها مركز الصدارة بين اقرانه بعد ان تهيأ له الجو بسقوط روما في أخريات القرن الخامس وانتقال الاباطرة قبل ذلك الى القسطنطينية وعمت الاسقف فكرة ان يتجه الى زعامة الغرب دينيا دنيويا واخذت اسقفية روما في النموالا انها سرعان ما تحولت الى بابويةلها هيبتها ومكانتها ومقوماتها وطابعها لخاص بها ، وسرعان ما انفصلت عن زميلتها الكنيسة الشرقية في القسطنطينية التي كانت تعتبر نفسها بحق وجودها في القسطنطينية عاصمة الاباطرة الشرقيين كراعية للكنائس المسيحية الاخرى(٢٨).

استطاعت الكنيسة ان تنشر نفوذها وتقوم برسالتها كاملة عن طريق جهاز محكم البنيان امتدت اطرافه الى جميع انحاء العالم المسيحي جنباً الى جنب مع الجهاز الاداري العلماني (٢٩) ومن المعروف ان الفوارق التي عرفها العالم الحديث بين السلطتين الدينية والزمنية لم يكن لها وجود في اوربا الوسطى فالناس في تلك العصور لم ينظروا للكنيسة والدولة على انهما هيئتان متعارضتان ، لانهم لم يعرفوا سوى مجتمع سياسي واحد هو المجتمع المسيحي على الرغم من وجود قوتين او سلطتين تتوليان حكم هذا المجتمع ولكنهما كانتا تحكمان مجموعة واحده من الناس يربطهم جميعا رباط المسيحية الغربية (٣٠).

وبالرغم من الانتصار السياسي الرائع الذي حققته الكنيسة في القرن الرابع الميلادي بقيّ عليها ان تجاهد ضد العناصر الدخيلة ومكافحة البدع والوثنية ولذا فأن السياسة الرومانية العليا نحو المسيحية ماعدا فترة (جوليان المرتد) ٣٦١- ٣٦٤م كانت من العوامل الهامة في انخراط اصحاب المصالح في صفوف المسيحية حفاظاً على استمرار مراكزهم واملاكهم وقد ولّد هذا الاتجاه رد فعل شديد في بعض مناطق الامبراطورية وخاصة في الشمال الافريقي(٣١).

ظهر في العصر الحديث مبدأ مناهضة نفوذ الكنيسة ويطلق هذا التعبيرعلى اية سياسة هادفة الى تدمير السلطة السياسية التي تتمتع بها الكنيسة والى اخضاع نشاطها غير الروحاني الى سلطة الدولة ، وبالرغم من كون هذه المناهضة جرت على حساب الكنيسة الأرثوذكسية حتى تلك الموجودة في الدول الاسلامية. اقتصر هذا التعبير على العداء ضد الكاثوليكية الرومانية ،واختلفت طبيعة هذا الصراع من دولة لاخرى ،اما اصوله فتنسب الى الثورة الفرنسية واولها الاعتداء على املاك الكنيسة وثانيها الاعتداء على هيبة الكنيسة والدولة (٣٢)

(٨)

ومهما يكن من امر فأن الكنيسة يمكن ان تعتبر مؤسسة غرضها بث القيم الروحية الخاصة بالنصرانية ، وتوكيدها توكيداً يضمن لها الغلبة والفوز وهذه المؤسسة هي حجر الزاوية في بنيان الحضارة الوسيطة(٣٣).

ب:حركة الإصلاح الديني

تعد حركة الاصلاح الديني حدثا له اهميته في التاريخ الاوربي الحديث فهي لم تظهر بصورة مفاجئة ،وإنما سبقتها حركات عديدة حاولت التخلص من قيود الكنيسة الثقيلة ورغم نجاح الكنيسة الكاثوليكية من قمع هذه الحركات بقسوة ،إلا انها لم تتمكن من قلع جذورها وبقيت اثارها تفعل فعلها بالتوافق مع متغيرات العصر ، وظهر كثير من المفكرين الذين طالبوا بأجراء إصلاحات محدودة منتقدين بعض المظاهر السلبية في الكنيسة ولكنها رفضت ووقفت بوجه كل مطالب الاصلاح واصمة اياه بألالحاد والمروق ، متخذة من ذلك حجة لاصدارحكم الموت في اكثرالاحيان(٣٤).

تعتبر الحركة الدينية التي اشتدت جذوتها في القرن السادس عشر الميلادي من اهم وابرز معالم التا ريخ الاوربي والتي لازالت اثارها ونتائجها باقية الى اليوم تمثلت في المذاهب الجديدة التي اتت بها حركة الإصلاح الديني وفي الانقسام الديني في اوربا بل وفي العالم الذي يدين بالمسيحية وما خلفته هذه الحركة حيث انها جرت اوربا الى حروب دامية وعنيفة وضربات تلقتها الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر، وترتب عليها ان يخرج على هذه الكنيسة اكثر من نصف اوربا الغربية التي كانت تدين لها بالولاء الديني بعد ان ظلت لاكثر من الف عام تحت نفوذ كنيسة روما (٣٥).

تميزت فترة نهاية العصور الوسطى بظهور حركة الإصلاح الديني التي اخذت تنادي بإصلاح الجهاز الكنسي البابوي وأصبح الفرد العادي يجرؤ على مساجلة المذهب الكاثوليكي الذي ساد العصورالوسطى ، والذي كان الخروج عنه يعتبر هرطقة لها اثارها المفجعة من حيث الحكم بالاعدام المهرطق حرقا" بالنار، حيث كان نتيجة لذلك قيام حركات الاصلاح الديني مثل حركة يوحنا وكليف الانكليزي (١٣٢٠– ١٣٨٤م) وحركة يوحنا هس البوهيمي (١٣٦٩ – ١٤١٥م) فضلا عن

(٩)

قيام المذاهب المسيحية الحديثة واهمها المذهب البروتستانتي او المعارض في القرن السادس عشروالذي انتشر منذ قيام مارتن لوثر (١٤٨٣ – ١٥٤٦م) بحركته في دول غرب اوربا ونتج عنها زوال هيبة الكنيسة اللاتينية (٣٦).

وردت نظريات حول حركة الاصلاح الديني منها مارآه فريق من المؤرخين حول حركة الاصلاح الديني التي بدات في القرن الرابع عشر والتي نادت بالخروج من تعاليم الكنيسة اللاتينية بعد مادب فيها الفساد ، واصلاح الجهاز البابوي بعدما ماتدهورت البابوية ، وابتعاد البابوات عن تعاليم المسيحية الاولى ، تلك الحركات التي تزعمها فريق من المصلحين افقدت البابوية سلطتها وهيبتها حيث اتخذها بعض المؤرخين نقطة تحول من العصور الوسطى الى الحديثة على اعتبار ان الكنيسة ونظامها ومافرضته من افكار كان من اهم خصائص التاريخ الوسيط (٣٧) .

هناك بعض من الاراء الشائعة التي ذكرت حول حركة الاصلاح الديني بأنها حدثت في أوربا مفاجأة وان الكنيسة الكاثوليكية كانت تعيش حالة من الهدوء والاستقرار عند حدوثها ، الا ان الحقيقة كانت خلاف ذلك،فالكنيسة الكاثوليكية كانت معرضة منذ ايام نشأتها الاولى الى اخطار منوعة ولا سيما تلك الاخطار التي تعرضت لها في عصورها الاولى ومنها الجدل الذي اثير حول طبيعة المسيح ومثل انتشار الاسلام ، ووقوع القسطنطينية في يد العثمانيين الذين استمروا يهددون اوربا زمناًً طويلاًً ، والواقع ان هذه الاخطار بدلاًً من ان تلعب دورها في اضعاف الكنيسة كانت من عوامل تماسكها وقوتها حتى تتمكن من مقاومة هذا الضغط الموجه ضدها من الخارج (٣٨).

اما حركة الاصلاح الديني التي انفجرت في بداية القرن السادس عشرالميلادي فكانت حركة سياسية اجتماعية ثورية شملت اجزاء واسعة من القارة الاوربية واثرت في سير احداثها التاريخية ، ولهذه الحركة مسببات ودوافع موضوعية اسهمت في التمهيد لها وضمان نجاحها وتحديد مسارها التاريخي.

مرت مسألة المطالبة بألاصلاح في مرحلتين واضحتين ، الاولى مرحلة مطالبة الكنيسة بأن تقوم بأزالة المفاسد التي لحقت بها وتنظيم شؤونها أي اصلاح نفسها بنفسها ، وهذا يسمى بألاصلاح من الداخل، اما المرحلة الثانية ،فهي مرحلة مطالبة الكنيسة بألاصلاح وارغامها على قبوله من ايدي اناس خارجين عنها ، اي ان الاصلاح يجب ان يفرض فرضاًً على الكنيسة ما دامت قد فشلت في اصلاح نفسها بنفسها وهذا ما يعبر عنه بألاصلاح من الخارج .

(١٠)

تركزت الكراهية ضد الكنيسة عندما تحررت الافكار في عصر النهضة من القيود القديمة التي فرضتها الكنيسة على الفكر منذ قرون طويلة ثم قويت هذه الكراهية لدرجة الطغيان على "الايمان" وعلى "العقيدة" ذاتها التي اعتمدت عليها الكنيسة في فرض سيطرتها على العقل والفكر منذ نشأتها الاولى (٣٩) وعندما حدث الإصلاح الديني وقام مارتن لوثر واتباعه يطالبون بضرورة إصلاح الكنيسة ، تعرضت العقيدة الكاثوليكية لهجوم عنيف وعندئذ انتقل الإصلاح من مجرد الرغبة في اصلاح "الرأس والأعضاء " أي إزالة المساوئ والمفاسد التي افقدت الكنيسة سيطرتها الروحية والمادية ، الى اصلاح ديني اي المطالبة بأصلاح العقيدة ذاتها .

كان من كبار المصلحين في المرحلة الاولى يوحنا روكلين وديز دريوس ارازم ، وفي المرحلة الثانية ظهرمارتن لوثر و اولريخ زونجلي وجون كلفن ، وقد ساعد كل من روكلين و ارازم وامثالهما بفضل ما كتبوه ونشروه على تهيئة الافكار في النهاية لقبول الانقسام في الكنيسة ومع هذا فأنهما لم يكونا يريدان مطلقاً الخروج على الكنيسة او الانفصال عنها ، بل كل ما طلباه هو ان تقوم الكنيسة بالاصلاح اللازم لها بنفسها .

عندما فشلت الكنيسة في اصلاح نفسها بنفسها ولم تستجب لرغبات هؤلاء المصلحين فقد قام مصلحون من طراز اخر يطلبون من الكنيسة ان تقبل الاصلاح الذي يفرض عليها من الخارج ، وعندئذ بدأت المرحلة الثانية في تاريخ الاصلاح الديني . وكان اشد المصلحين خطراً وقتئذ هو مارتن لوثر (Martin Luther) (٤٠).

انتقادات المفكرين والإنسانيين من اهم العوامل واخطرها على الكنيسة الكاثوليكية ، وشكاوى الفلاحين والحرفيين التي كانت تهدد بالثورة ضدها ، وبحلول القرن السادس عشرميلادي بلغ الصراع السياسي اوجه ولم يتوان الملوك الذين قضوا على الاقطاعية واسسوا حكومات قومية وشجعوا انتشار الوعي القومي وطمحوا الى ازدياد سلطتهم المطلقة وثرواتهم القومية ولم يتوانوا في اخضاع الكنيسة ومصادرة اموالهاواراضيها وتوزيعها على اتباعهم واضافة سلطة الكنيسة الى سلطاتهم ، في حين عارض قسم من الملوك الاصلاح الديني خوفاً من ان ذلك يقضي على طموحاتهم في الحصول على اموال الكنيسة ، فوضعوا أنفسهم على رأس الثائرين ضد الكنيسة (٤١).

(١١)

ظهرت ضمن الكنيسة الكاثوليكية جماعات مختلفة خلال العصور الوسطى أنشقت عنها واتهمتها بالهرطقة لرفضها بعض معتقدات الكنيسة من أشهرها جماعة والدنس في ايطاليا ، والالبيجون في جنوب فرنسا وجون ويكليف في انكلترا وجون هس في بوهيميا ، وكانت اغلب هذه الانشقاقات ذات دافع سياسي واقتصادي وقلما نبذت تعاليم الكنيسة ، وكان الصراع بين الاباطرة و البابوات او الملوك و البابوات في العصور الوسطى أحد الانشقاقات التي اضعفت الكنيسة الكاثوليكية (٤٢) .

ومهما يكن من امر ، وعلى الرغم من هذه الثورات والانتقادات استطاعت الكنيسة الكاثوليكية من القضاء على معارضيها و الانتصار عليهم لانها كانت تتمتع بالقوة لها والناس يدينون لها بالولاء والايمان بها دون جدال ، الا ان الوضع تغير في القرن السادس عشر بسبب ظهور الملكية المطلقة والدول القومية وانتشار الوعي القومي والحركةالفكرية وحركة الاستكشافات الجغرافية و ظهور الرأسمالية ، فأنتبه الناس الى مساوئ الكنيسة وارادوا اصلاحها أو الثورة ضدها اذا تعذر الاصلاح .

ثانيا: اسباب ودوافع الاصلاح الديني

كان وراء التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية عدم ملائمة المؤسسات القديمة لمواجهة المقتضيات الحاضرة ،فساد الظلم والطغيان وانتشرت الفوضى والاضطرابات ، ونشطت الثورة فتنفجرت براكينها للانتقام من الماضي وايجاد حل للمشاكل التي يعاني منها المجتمع .

كان عصر الثورة الدينية والاصلاح الديني عصر تغير واسع شمل كل المشاكل المعاصرة ضمن اطار الثورة الدينية وكانت هذه الثورة نتيجة لعوامل كثيرة بالاضافة الى العامل الديني كالوعي القومي وطموح العوائل المالكة ومنازعاتهم والحركة الفكرية والانسانية والاستكشافات الجغرافية والتقدم الاقتصادي وظهور الطبقة الوسطى وعوامل اخرى كثيرة سببت تحولات سياسية و اجتماعية واقتصادية و فكرية زعزعت المجتمع الاوربي مدة اكثر من قرن ونصف(٤٣).

هناك جملة اسباب جعلت هذه الظروف تنضج في المانيا بالذات ، وتفسر قيام حركة الاصلاح الديني في المانيا ، بدلا من قيامها في انكلترا او السويد مثلاً ، ومنها :

(١٢)

١ - ان الالمان كانوا منذ القدم يحقدون على الكنيسة الكاثوليكية في روما اذ كان النزاع المستمر بين البابا والامبراطور الالماني (امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة) سبباً في ان كل فريق يشعر بعداء تجاه الاخر ، ففي المانيا حيث كان الامبراطور يحكم مجموعة من الامراء الاقوياء وليس له الا ظل من السلطة بعكس الدول الاوربية الاخرى حيث كانت مقاليد الحكم في ايدي ملوك اقوياء استطاعوا حماية رعاياهم من جشع رجال الدين ، ولذلك فأن البرجوازيين كانوا تحت رحمة القساوسة والمطارنة مباشرة، حيث كانوا يحاولون جمع المال لصالح تلك الكنائس الضخمة التي كان انشاؤها هواية البابوات في عصر النهضة (٤٤).

٢- مساوئ الكنيسة الكاثوليكية

من الواضح جلياً ان الكنيسة الكاثوليكية سيطرت على عقول الناس لباعٍ طويل من الزمن ، واستخدمت سياسة القمع تجاه اية فكرة لا تنسجم مع طروحاتها كما انها حاربت اراء المفكرين الاحرار الذين وصمتهم بالالحاد والمروق ، وكان العديد من رجالاتها يحيون حياة بعيدة عن المسيحية وتحولوا الى اقطاعيين يمتلكون مساحات شاسعة من الاراضي ويبيعون المناصب الدينية ، كما ان الكنيسة كانت حريصة على تفسير الدين باتجاه يخدم مصالحها لذلك منعت الناس من قراءة الكتاب المقدس دون أشراف رجل دين حتى لا تفسر نصوصه بصورة لا تخدم مصالحها.

كانت الكنيسة تمتلك مؤسساتها الادارية والمالية والقضائيـــــــة والعسكرية الخاصة بها ، ولاجل اشباع الحاجات البابوية المتزايدة اخذت تدخل الحروب ، وتفرض ضرائب جديدة وتبيع المناصب الدينية وصكوك الغفران ، وكانت تربط الناس بها على مدى قرون طويلة فقد اكدت ان الانسان مذنب بطبعه ولا يستطيع التكفير عن ذنوبه بقواه الخاصة ، لذلك يتوجب عليه اللجوء الى الكنيسة التي تستطيع لوحدها تخليصه من ذنوبه عن طريق الاسرار المقدسة واقتناء صكوك الغفران ، واستخدمت الكنيسة محاكم التفتيش للتخلص من معارضيها ، لذلك كله وجهت الانتقادات لها وازداد عدد المطالبين بضرورة اصلاحها وتنقيتها من كل الشوائب والمظاهر السلبية التي علقت بها (٤٥).

٣- ومن الاسباب الاخرى التي تفسر قيام حركة الاصلاح الديني في المانيا، هو ان المانيا كانت موطن الطباعة منذ اخترع جو تنبرغ Gutenberg (١٣٩٧ -١٤٦٨م) الطباعة بالحروف المصفوفة في منتصف القرن الخامس عشرالميلادي ،

فأزال العقبات في سبيل انتشار العلم وتوصيله الى عامة الشعب ، وكان الكتاب المقدس اول كتاب طبع بهذه الطريقة سنة ١٤٥٥م . واصبح من الكتب المتداولة في كثير من البيوت ،

واخذت اسر بأجمعها تقرأ الكتاب المقدس وكان ذلك مخالفاً لقوانين الكنيسة فتبين للناس ان القساوسة كانوا يقصون عليهم اشياء كثيرة تختلف عما هو موجود في النص الاصلي ، فأثار ذلك في نفوسهم الشك في رجال الدين والحملة عليهم (٤٦).

٤- ادت النهضة الاوربية الى قيام حركة الاصلاح الديني نظرالافكار النهضة وبعث التراث التقليدي ، والتقدم العلمي ، وحركة الانسانية وفتح آفاق الناس نحو حياة جديدة بعيدة جدا عن سيطرة الكنيسة ،واستندت الاخيرة في هيمنتها السياسية على اوربا ،وبرزت افكار النهضة لتنسق النظام الكلاسيكي وهيمنة الكنيسة . كان نمو الوعي القومي وقيام الحركات القومية الملكية دافعا نحو الاصلاح الديني وتطلع الناس الى اقامة الكنائس القومية البعيدة عـــن الهيمنة المتمثلة بالبابوية وتطلع النفوس الى اجراء الطقوس الدينية بلغاتهم القومية بدلا"من اللغة اللاتينية التي ماكان يفهمها الا رجال الفكر والمثقفون ،وكانت البابوية تخشى من تنامي المشاعر القومية هذه في ظل رفعها لشعارات دينية عالمية ،ولهذا كانت البابويه تعمل جاهدة في فرض سيطرتها وهيمنتها السياسية واخضاع السلطة الدنيوية لها،لذلك دخلت في صراعات مع البابويه ونشطت بحيث واجهت ردود فعل من الملكيات في بلدان اوربا الغربية(٤٧).

٥- لم يكن الملوك والامراء اقل حماسا" من رجال الطبقة الوسطى في وضع حد لسلطة الكنيسة السياسية والاقتصادية لاجل تثبيت الحكم الملكي المطلق وتدخل الدولة في شؤون الكنيسة ومصادر ثروتها الهائلة ، لذلك فان رجال المال والاعمال مهدوا السبيل الى الثورات الاجتماعية في القرن السادس عشرالميلادي بالاضافة الى الثورة الدينية والاصلاح الديني ، لكن في نفس الوقت ساعد الى انتقال النفوذ الاقتصادي من رجال الدين الى الراسماليين ، فكان ذلك نتيجة وسببا" في الوقت ذاته لظهور الراسمالية الحديثة (٤٨).

٦- كذلك ليس بالامكان اغفال دور صغار النبلاء الذين كانوا يؤلفون طبقة خاصة في البلاد وهي طبقة الفرسان (KNIGHT) التي كان لها شان حربي خطيرفي العصور الوسطى ، وعندما دهم الامبراطورية ذلك الانحلال الذي حدث في بداية

(١٤)

العصور الحديثة وقسمها الى امارات محلية يسيطر عليها الامراء .فقد الفرسان اهميتهم التقليدية القديمة ،ولم يجدوا سبيلا" للعيش وجمع الثروة سوى القيام باعمال السلب والنهب كلما سنحت لهم الظروف ومع ذلك لم ينسوا ماكان لطبقتهم في الماضي من مجد ونفوذ ، ولذا كانوا ساخطين على ماوصلت اليه حياتهم ومركزهم ومعيشتهم .

مما تقدم يتبين مدى اجماع معظم الطبقات على السخط على الكنيسة الرومانية ولذلك كانت المانيا ارضا" صالحة لقيام الثورة الدينية ، وجاءت حركة مارتن لوثر في تغيير الاوضاع الدينية السائدة (٤٩).

المجتمع الالماني قبل الاصلاح .

كانت المانيا في زمن شارلمان عبـــارة عن دويلات صغيرة تقــدر بمائتين او ثلاثمائة دويلة يختلف بعضها في السعة ونظام الادارة ،وكان يحكم بعضها دوق او كونت بينما كان بعضها الاخر تحت ادارة رئيس اساقفة او رئيس دير، اما المقاطعات الالمانية فقد كانت متشابكة مرتبكة ،فهنا دوقية وفي وسطها دويلة صغيرة لطائفة من الفرسان وفـــي احد جوانبها مقاطعة يحكمها احد رجال الدين والـــى الجانب الاخر مدينـــة مستقلة مرتبطة بالامبراطورلذلك كثر النزاع والقتال ولم تكن هناك قوة مركزية تستطيع تنفيذ إرادتها كما انه لم يكن احد ليصغي لاحكام الامبراطورية الضعيفة،بل اباح كل اميرلنفسه الحرب والنهب وكان القانون يجيز ذلك على ان تتبع في الحرب اصول وانظمة معينة .

وفي اخريات القرن الخامس عشرالميلادي شعر الالمان بسوء الحالة فقام الدياط (DIAT) (٥٠). بمحاولة انقاذ البلاد من الفوضى والارتباك الذي وصلت عليه ،واقترح انشاء محكمة دائمية ثابتة في محل واحد لحل النزاعات التي كانت تحدث بين امراء الدويلات المختلفة ،كما اقترح تقسيم الامبراطورية الى مقاطعات تكون في كل واحدة منها قوة حربية يعهد اليها امر تنفيذ قرارات المحكمة .ومضت سنوات دون ان تتحسن الحالة كثيرا" حتى اختلف الكتاب في تصوير حالة المانيا في تلك الايام ،وهو امر طبيعي فأن البروتستانت كان يرون الصفحة المؤلمة فقط بينما نجد المؤرخين الكاثوليك يقتلون السنين بحثا"ليثبتوا ان المانيا كانت حينذاك في نعيم وسعادة لا حدود لهما،فجاء لوثر وبدعوته قسم البلاد مذاهبا" وطوائف طعن بعضها البعض حتى أهلكهم القتال (٥١) .

(١٥)

كان الاستياء في المانيا شديدا "من سياسة الكنيسة ،وكان البابا قابضا"على جيب المانيا فتذمر منه الشعب بجميع طبقاته ، حيث كان يستغل منصبه ومركزه الديني لنهب البلاد فيبيع المراكز الدينية الكبرى كالاسقفيات باثمان باهضة لمشتريها ويرسل من اتباعه الايطاليين من يحتل المناصب العليا فيجمع له ولنفسه المال من جيوب الالمان ، وقد انتقد كتاب القرن السادس عشرالميلادي وعبروا عن نفرتهم العامة من هذا الحال واحتقارهم لرجال الدين الضعفاء عقلا" الاقوياء شهوة وانانية ولكن على الرغم من ذلك لم يكن سواد الشعب ليفكر في الثورة بل تركزت طلباتهم على ايقاف سيل النقود الجاري الى روما وحفظه في البلاد وتحسين اخلاق رجال الدين وسلوكهم (٥٢).

احتلت الكنيسة موقعا"خاصا"في المانيا وتحالفت مع الاقطاعيين في استغلال المكان وامتلاكها لمساحات واسعة من الاراضي ووقفت بوجه كل المحاولات التي هدفت الى تغيير الاوضاع في البلاد بأعتقادها ان في ذلك خطرا" على مصالحها وثرواتها التي تاتيها من المانيا والمدن الالمانية الاخرى والارياف ولم تتمكن الطبقة الوسطى في المانيا من توحيد القوى المعارضة لاجراء التحولات في البناء السياسي والاجتماعي وحاولت فئات الفرسان ان تواجه هذه الاوضاع لكنها تفتقر الى الاسلحة الحديثة حتى ادرك الفرسان ان الخروج من هذه الازمة يكمن في تقوية الامبراطورية واقامة دولة المانية موحدة.

تفاعلت هذه العوامل في تجزئة المانيا واتجهت من الاقطاع الى تدهور الاقتصاد والتناقضات الاجتماعية والثورات الفلاحية وتعمقت التناقضات هذه في سيادة الكنيسة الكاثولكية في البلاد وكان عدد كبير من الاساقفة ورجال الدين في المانيا يمثلون امراء اقطاعيين امبراطوريين ،ويتسلم البابا مبالغ كبيرة من المانيا على شكل ضرائب العشر ومبالغ التعيين في المناصب الدينية وبيع صكوك الغفران والهبات التي ترسل الى روما من قبل الامراء(٥٣).

ضعفت السلطة الامبراطورية وتنامت السلطة البابوية في البلاد ،وكانت البابوية تثير استياء اوساط واسعة من سكان المانيا وكان الامراء والنبلاء يحلمون بمصادرة ممتلكات الكنيسة ، فضلا عن سكان المدن الذين تطلعوا الى كنيسة قومية لاتكلفهم اموالا" طائلة ، اما الفلاحون فكانوا ينظرون الى رجال الدين نظرتهم الى سادتـــهم الإقطاعيين ، واتخـذت المســألــة الديــنية فــي المــانــيا صــفــة

(١٦)

شعبية ومسألة انقاذ المانيا من البابوية مسألة قومية .لهذا كان من الطبيعي ان وجهت اولى الضربات في حركة الاصلاح الديني ضد البابوية في المانيا(٥٤).

ج :مارتن لوثر MARTIN LUTHER.

ولد عام ١٤٨٣م في ايزبلن من مدن سكسونيا من ابوين فقيرين حيث غرسا فيه مبادئ الدين والفضيلة والاعتقاد الراسخ بتعاليم المسيح(٥٥) كرس حياته للخدمة الدينية ودخل احد الاديرة في سلك الرهبان المعروفين بجماعة (سانت اوغسطين) منذ عام ١٥٠٥م خلال ثلاث سنوات حيث عكف على دراسة اللاهوت لما خالجه من الشكوك في ايمانه ، فجد في العبادة من صيام وقيام وتعذيب ، ولكن كل ذلك لم يرح ضميره(٥٦) ، وضل يتابع دراسة اللاهوت ثم عين استاذا" لهذه المادة في جامعة فتنبرغ (على ضفاف الالب في ساكس الشمالية) واكتسب بفصاحته شهرة عظيمة.

دخل لوثر الدير خوفا" من قضاء الله وظن انه يستطيع ان يعيش براحة في اداء واجباته الدينية ،ولم يكن للطقوس الدينية من صوم وتهجد ونسك من تاثير فاعـــل على وجدانه المعذب لانه لم يجد فيها يقين السلام ،الا انه قرأ آية في رسالة القديس بولس الى اهل رومية وهي(ألبار بالايمان يحيا) فأطمأن وبنى مذهبه (السلام بالايمان وحده لا بالأعمال) وفي العام (١٥١٥ - ١٥١٦م) اخذ يوسع الرسالة ويعرض أفكاره الأساسية(٥٧) .

حاز لوثر على ثقة رئيس الدير واحترامه وعندما جاء فردريك (منتخب سكسونيا) قدم له لوثر ليقوم يتدريس ارسطو،ومضت السنون واخذ لوثر يشك في المادة التي يدرسها وقرراخيرا" ترك ارسطو الذي كان في نظره وثنيا"لايعرف شيئا" عن الدين المسيحي،وصاريدعو الى الاعتمادعلى الانجيل وتدريسه بدل الفيلسوف الاغريقي .(٥٨) .

اكد لوثر على الايمان برحمة الله وغفرانه ،وهو السبيل الوحيد للخلاص من الخطيئة لافي الاعمال التي كانت الكنيسة تنصح بها كحضور القداس وتكرار الصلوات والحج وزيارة الاماكن المقدسة ،ولم ينتبه احد الى تعاليم لوثر الى ان جاء عام ١٥١٧م وكان قد بلغ من العمر آنذاك أربعة وثلاثون عاما"،ففي هذه السنة حدث حادث رفع لوثر بغتة أمام الأنظار(٥٩).

(١٧)

لوثر والثورة ضد الكنيسة .

رغم القوة والمكانة التي إعترت بها الكنيسة تبين للناس انه لم يعد بالامكان اخضاع جميع سكان اوربا الغربية للسيطرة البابوية لهذا عهد لوثر الى احراق دستور الكنيسة وشرائعها بعد ان جمع طلابه من جامعة (فتنبرغ) وسار بهم خارج المدينة وهناك اعلن عصيانه على الكنيسة والبابا بأحراقه المرسوم الذي وجهه الاخير ضد لوثر وتعاليمه (٦٠). رفض لوثر فكـرة ان الكنيسة تمثل الوسيط بين الفرد والخـــالق وعارض اشراف رجال الدين على المؤمنين واعطى الاهمية الاولـى للكتاب المقدس بدلا"مـن كتابات آباء الكنيسة وقوانين المجامع الكنسية والبابوات التي اعدتها الكنيسة جزءا"مهما" من مصادر الدين المسيحي، كما راى في سلطة الدولة الوسيلة التي توفر الاستقرار والنظام للفرد المسيحي لذلك وجب الانصياع لهذه السلطة وكان هدفه في كل ذلك طمأنة الامراء والنبلاء الذين ساورهم الشك في البداية من نوايا لوثر الذي اعتبرهم القاعدة الاساسية لاجراء اصلاحه الديني (٦١). ثارت حركة لوثر على الولاء لروما واضعفت السلطة القانونية للباباوحطمت بعض النفوذ الديني مما مهد للثورة العلمية وقد الغت حركة الاصلاح الديني السلطة القانونية للبابا ونقلت قدرا"كبيرا" من الثروة من ايدي القساوسة الى ايدي الشعب ،حيث كانت الحرب على الكنيسة تمهيدا"لنقل السلطة الى الدولة القومية وانتهت الى ان رضيت الكنيسة بان تخدم الدولة بدلا" من ان تجـعل الدول تخدمها كـما حـدث طـوال القرون الوسطى(٦٢). بدا لوثر احتجاجه ضد الكنيسة عندما قام الراهب (تيتزل) يجوب المانيا موزعا"صكوك الغفران علـــى الناس عام ١٥١٧م ،وكان البابا قد خوله جمع الاموال لبناء كنيسة القديس بطرس فـــي روما ،وكان المؤمنـــون يدفعون مقابل هذه الصكـوك مقدارا"مشترطـــا"مـن المال ،فثار مارتن لوثرمعتقدا"بأن الناس يخدعون بهذه الطريقة التي لايمكن لأحد ان يحصل بها على البركة اويخفف آلام اقربائه في المطهر كما تدعيه الكنيسة رسميا"(٦٣) .

أثر هجـوم لوثر علـى صكوك الغفران تأثيرا"عميقا" فـــي نفوس المسيحيين ولكن لم يتوقع احد ان الامرسيتطورالى ثورة دينية تؤدي الى انقسام العالم المسيحي والى حروب دينية طاحنة خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين ، وفي عام ١٥١٩م نظمت مناظـرة بين لوثر وبين حنا أيك وهو من اكبر انصار الكنيسـة (١٨) الكاثوليكية في ليبزج ،إلا ان لوثر صرح بأن صكوك الغفران بل والبابوية ذاتها بدعة مستجدة لم

تكن معروفة في عهد الرسل الاولين وان المجامع الكنسية ليست معصومة من الخطأ. حاول لوثر كسب ود حكام المانيا الى جانب حركته لارغام الكنيسة على قبول الاصلاح طالما انها لم تستجب للدعوات المتكررة لتصلح نفسها بنفسها .كما انظم بعض الفلاسفة الى جانبه حيث كان لهم الاثرالكبيرفي نشر اثار لوثر وافكاره مثل الحرية والاخاء التـي وجدت ارتياحـا" ملحوظا" لدى الكثير من المجتمع الالماني(٦٤) . اعلن لوثر احتجاجه على صكوك الغفران بأن علق كتابا"من(٩٥) مادة على باب الكنيسة ودعا كل من شاء المناقشة في الموضوع ولم يقصد لوثر من ذلك مهاجمة الكنيسة اواثارة القلاقل ضدها ،والدليل انه كتب المواد المذكورة باللغة اللاتينية لغة التهذيب في ذلك الوقت ،ووجه دعوته إلى الطبقة المثقفة فقط (٦٥). يعد خطاب لوثر إلى نبلاء ألمانيا من أهم النشرات التي كتبها ، حيث دعا فيها الأمراء والفرسان للقيام بإصلاح الكنيسة لأنه كان يعتقد ان الحاجة للإصلاح أصبحت ماسة ، وإن من العبث انتظار الباباوات والأساقفة ليقوموا بهذا ألعمل ،وقد أنكر فيه أن لرجال الدين قدسية تمنع الحاكم الزمني من طردهم إن أهملوا ألقيام بواجبهم المقدس وادعى أيضا" ان من حق الامراء ومن واجبهم معاقبة رجال الدين ان اخطئوا كما يعاقبون رجال الدنيا (٦٦) . سارع البابا الى انكار عقائد لوثر والى دعوته الى الخضوع للسلطة الدينية بلا شرط اوقيد ،كون دعوته تنقض السلطة البابوية من اساسها،الا ان لوثر حرق كتاب البابا وقانونه الاكليريكي علنا" امام مرأى من الناس ،لذا أعلن البابا حرمانه من رحمة الكنيسة بحيث أصبح من واجب السلطة الزمنية وفقا"للتقاليد القديمة (ان تنقله من نار الدنيا الى نار ألآخرة) حتى لايتبين ان هذا الراهب الوضيع (كما وصفته الكنيسة) اقوى نفوذا" من البابوية والإمبراطورية معا" (٦٧) .

عمد لوثر على توضيح عقيدته الدينية وعقيدته السياسية بعد قطعه كل صلة تربطه بالسلطتين الدينية والمدنية فانتقل الى بحث العقائد على اطلاقها فوضح مبدأ عقيدته في مجلداث ثلاثة عرفت بأسم رسائل الاصلاح (REFORMATION TRACTS) تضمنت علاقة الكنيسة بالحكومة ،حددت هذه الرسائل موقف لوثر من مبادئ الكنيسة الاساسية وتهيئه لموقف الدفاع امام القوات المتحدة (رجال الدين

(١٩)

ورجال الدنيا) معا"وسادالاعتقاد في كل المانيا بان على لوثر عدم التضحية من اجل البابويه وان الالاف مستعدة لفدائه وحمايته من الاعداء (٦٨). حاول لوثر تشذيب كل ما علق بالكنيسة من اضافات على مر العصور،واحتفظ بالعقائد والاعمال التي اقرها السيد المسيح نفسه ونقلها (العهد الجديد) وتسامح لوثر في بادئ الامرمع سر(التوبة) ولم يعترف الا بسري(التعميد والمناولة) وهما الذان اقرهما السيد المسيح ،وهكذا بسط لوثرالدين فاصبح مثلا" اعلى لدين حنيف داخلي ينطوي فقط على التأمل بالكتاب المقدس وحوار وجدان المؤمن مع المسيح . لعب شخص لوثر دورا" واضحا" ومميزا" في حركة الاصلاح الديني فهو الذي اوجد الانقسام ،ومن دون شك ان المذهب الذي اتى به قد تمم بمصلحين اقوى واشد منه جرأة امثال زونغلي وكالفن ،غير انه من الواجب الاعتراف بان محاولة لوثر كانت حادثا" اساسيا" في حركة الاصلاح البروتستانتي (٦٩) .

الثورات التي رافقت الحركة اللوثرية

كانت لثورة اللوثرية قد انتشرت في جميع انحاء المانيا وشاركت بالحركات القومية والثورات السياسية والاجتماعية ،وحدث في الوقت نفسه ان قامت جماعة من الفرسان (٧٠) التابعين للإمبراطورية ومن معتنقي المذهب اللوثري بمهاجمة مقاطعات الكنيسة في بلاد الراين بغية ضمها الى مقاطعتهم وتوسيعها بهذه الطريقة ، وفي سنة (١٥٢٤م) ثار قسم كبير من فلاحو المانيا الذين ايقظتهم الافكار والمبادئ الدينية الجديدة التي نشرها الوعاظ الذين غالوا الى حد بعيد بآراء مارتن لوثر مؤكدين ان باستطاعة كل شخص ان يرى ماهو صحيح بالنسبة إليه (٧١) .

في الحقيقة لم يكن لوثر مسؤولا" عن ثورتهم هذه رغم انه ساعد في نفخ روح التذمر في صدورهم التي كانت تغلي للانتقام ممن اساء اليهم ، وكانت بعض مطالبهم معقولة وقد جمعت في (١٢) مادة ملخصهم التحرر من سادتهم الذين كانوا مسيحيين مثلهم لان الانجيل لايفرق بين عبد وسيد ولايوجب على الاول دفع الضريبة للثاني (٧٢).

وبالرغم من ان لوثر تعاطف معهم في اول الامر، لانه كان من طبقة الفلاحين ، ونصحهم بالخلود الى الهدوء والسكينة الاانهم أبوا إلا الاستمرار في ثورتهم عندما انقلب عليهم لوثر وطلب من الحكومة القضاء عليهم بكل شدة وقسوة (٧٣).

اعتبرت هذه الحركة اشد عنفا"واكبر خطرا" من سابقتها وعرفت باسم ثورة الفلاحين

(٢٠)

وهي سلسلة من الثورات التي قام بها الفلاحون رقيق الأرض الذين استمالتهم دعوة لوثر الى الحرية والاخاء الجرماني والذين ايدوا الاصلاح الجديد رغبة في الخلاص من العبودية والرق حيث استند الفلاحون في اعتناق اللوثرية على اعتبارات اجتماعية واقتصادية ناجمة عن موجة التذمر الشديد الذي انتشر بينهم ، لهذا انتهز الذين يريدون اعادة التعميد (٧٤).

استغل الانابتيون وجود هذا التذمرفتصدوا لزعامة الانابابتين حربا هدامة موجهة ضد كل سلطة قائمة ،كما اصبح الغرض منها اقامة مجتمع مسيحي جديد على اساس المساواة المطلقة وشيوع الملكية (٧٥).

ثورة الفلاحين .

تحولت ثورة الفلاحين الى حركة شعبية شملت أنحاء واسعة من البلاد وهددت اسس النظام الاقطاعي القائم واستمرت في بعض المناطق حتى عام ١٥٢٦م وكانت مطالبهم إلغاء الضرائب والاتاوات واعمال السخرة واعادت الاراضي العامة اليهم والغاء ضريبة العشر تمكن الامبراطور والامراء المتحالفون معه، وبدعم من البابويه في قمع هذه الحركة ودفع الاف الفلاحين حياتهم ثمنا" لقيامهم ضد النظام القائم (٧٦). نهض هؤلاء العبيد بأسم (العدل الالهي) ولم يكن لوثر مسؤولا" عن ثورتهم رغم مساعدته في رفع الكراهية و روح التذمر في صدورهم وقد جمعت مطالبهم في اثنتي عشرة مادة أبرزها التحرر من سادتهم الذين كانوا مسيحيين مثلهم لان الإنجيل لايفرق بين عبد وسيد ولا يوجب على الأول دفع إتاوة للثاني ، الا ان تورثهم شهدت تطرفا" تمثل بقتل القس والأشراف بأساليب وحشية ، اما (لوثر) الذي كان من طبقة الفلاحين فقد عطف عليهم أول الأمر ونصحهم بالخلود الى الكنيسة إلا انهم أبوا الا الاستمرار في طغيانهم لذا انقلب عليهم وطلب من الحكومة القضاء عليهم بكل شدة وقسوة وأجاب الأمراء طلب لوثر وانزلوا سيوفهم في رقاب الفلاحين فقتلوا منهم عشرة ألاف وبأشنع الطرق ، وزادوا عليهم الضرائب بدلا" من تخفيفها واستمرت العبودية قرونا" بعد هذه الحادثة دون ان تخفف ويلاتها (٧٧). اتخذت حركة الفلاحين صورة واقعية وعملية عندما اصدروا في عام ١٥٢٥م بيانا" طالبوا فيه بالقاء الكثير من القيود التي خلفتها العصور الوسطى الاوربية فطالبوا بتحديد القيمة الايجارية للاراضي الزراعية والمطالبة بالعديد من الحقوق التي كانوا محرومين منها(٧٨).

(٢١)

قاوم لوثر ثورة الفلاحين بكل شدة وحزم ،لان المطالب التي ارادوا تحقيقها وهي مطالب مادية واقتصادية واجتماعية والمبادئ التي نادوا بها كانت في نظر لوثر مطالب ومبادئ لاتمت بصلة بحركته الاصلاحية الدينية ومن شانها ان تعرض هذه الحـــــركة الاصلاحية الى اكبر الاخطار لذلك وصفهم لوثر بانهم (الفلاحون المخربون الذين يسفكون الدماء) واخذ لوثر يخطب في الناس ويناشد الامراء (كبار النبلاء) ان يعملوا على القضاء على هذه الثورة وسرعان ما اتخذ كبار النبلاء وصغارهم (الفرسان) ضد ثورة الفلاحين واخفقت هذه الثورة تماما" عندما انهزم الثوار في موقعة فرانكنوس في عام ١٥٢٥ م واعدم (توماس موتزر) مع غيره من كبار قادة الثورة (٧٩). وتمكن الإمبراطور والأمراء والبابا من قمع الحركة ، وقتل الكثير من الفلاحين ففشلت الحرب الفلاحية في تحقيق اهدافها ، حيث ادى ذلك الى تقوية نفوذ الامراء والاقطاعيين ، وتجزئة البلاد سياسيا" وقد وضع فشل الحركة الفلاحية حركة الاصلاح الديني امام الخطر ، وحاولت الكنيسة استعادة نفوذها وهيمنتها من جديد على المانيا ، ووقف الامراء الذين تمكنوا حتى هذه الفترة من الاستحواذ على مساحات واسعة من ممتلكات الكنيسة المصادرة ضد هذه التوجه (٨٠).

موقف الكنيسة من اللوثرية

بعد ان تجمعت فئات واسعة من سكان المانيا حول شعارات لوثرفي بداية حركته ، وانطلقت كل فئة من مصالحها الخاصة للمساهمة في هذه الحركة والايمان بارائه التي كانت تهدف الى التخلص من الكنيسة البيروقراطية التي تكاملت خلال العصور الوسطى والعودة الى المسيحية الديمقراطية البسيطة دون التنظيم الكنسي والطقوس الدينية ودون التملك الاقطاعي لرجال الدين ، بدأت هذه الاراء والافكار تثير القلق لدى البابوية خاصة وان لوثر دخل في نقاش حول قدرة الكنيسة على اداء دورها دون البابا ، والغى دور رجال الدين وان كل مسيحي يمثل رجل دين امام الله (٨١).

بعد أن استمر لوثر في دعوته وقويت شوكته ولم يذعن لتهديدات الكنيسة بالتراجع عن موقفه نجد العكس من ذلك فقد طالب الناس لمحاربة البابويه ومن يؤيدها ورفض الذهاب الى روما كما فشلت البابويه في في اقناع السلطات بالقاء القبض عليه وكانت ردة فعلها ازاء هذه المواقف بان اصدرت في ايلول عام ١٥٢٠م قرارالحرمان بحق لوثرفكان من الاخير ان ردعليه بمقالات شديدة العنف هاجمت البابويه والكنيسة الكاثولكية واصفا" البابا بعدو المسيح واحرق قرار علنا" في جامعة ويتنرغ (٨٢) وبذلك انقطعت كل صلة تربطه بالكنيسة واصبح السلام بينه وبين البابا مستحيلا"(٨٣) .

(٢٢)

هددت الكنيسة لوثر بمختلف الاحكام المخيفة فصرح علنا" منذ تموز ١٥١٨م في خطاب له عن مدى تاثير قوة (الفرد من الجماعة) او(الحرمان) والقضايا التي تصنعها امام وجدانه ،غير ان الحل الذي طمنه كان هو الحل الذي هدأ في الاصل قلق المفكرين المسيحيين الذين كانوا على خلاف مع تعاليم الكنيسة (٨٤) .

بذلت البابوية محاولات لإلقاء القبض على لوثر وترحيله الى روما ولكنها اخفقت بفضل الحماية التي وفرها (فريدريك) امير مقاطعة سكسونيا له ،فراى البابا ان يسلك مع لوثر طريق الاقناع فارسل اليه احد رجال الدين لمجادلته ،الا ان هذه الوسيلة لم تجد نفعا".

في سنة (١٥١٩ م) نظمت مناظرة بين لوثر وبين (حنا ايك) وهو من كبار انصار الكنيسة الكاثوليكية في ليبنرج ، الا

ان لوثر صرح بان صكوك الغفران بل البابوية ذاتها بدعة مستجدة لم تكن معروفة في عهد الرسل الاولين وان المجامع الدينية ليست معصومة من الخطأ (٨٥).

وعلى أية حال فان الكنيسة عملت جاهدة على مقاومة الفكر اللوثري بشتى اساليب المقاومة واستخدمت سلطتها الدينية بل والدنيوية في دعم موقف المعارضة الذي تبناه رجال الدين وبعض الفئات المستفيدة من الكنيسة ولاسيما رجال الاقطاع كما حاول رجال الدين الوقوف بوجه الملوك والامراء ممن عهدوا الى تأييد اللوثرية التي اعادت لهم حقوقهم التي سلبتهم اياها الكنيسة الا ان كل الجهود المضنية التي بذلتها الكنيسة ذهبت ادراج الرياح فكانت اللوثرية قد انتشرت ليس في المانيا فحسب بل وباقي دول اوربا الغربية .

تقييم ثورة لوثر

ان ثورة لوثر التي هزت المانيا لم يكن سببها ثورة الفرسان الإمبراطوريين او الثورة التي قام بها الفلاحون بل كانت ثورة كبار الامراء في الامبراطورية على الامبراطور،وكان شارل الخامس ملزما" بدعم الكثلكة باعتباره الامبراطورالروماني المقدس وهذا ماجعل ولايات الامبراطورية تخشى دائما"من فقدان ماتتمتع به من حرية محلية ، فرأت في مساعي الامبراطورللضغط على لوثر واخماد دعوته تهديدا" لحريتها ،لذلك رأت من حقوقها اختياروتعيين الدين الذي تريده وادعت هذه الدويلات بان حق الاصلاح (IS REFONMANDI) اوسلطته يعود للدويلات الاعضاء في الامبراطورية وليس من حق الإمبراطور نفسه(٨٦).

(٢٣)

كانت اللوثرية ثورة ضدالكنيسة ودعوة انقلاب عام في طرازحياة الناس وتفكيرهم حيث كانت الكنيسة الكاثوليكية مهيمنة على التعليم لقرون عديدة وكانت تتدخل في كل صغيرة وكبيرة من اعمال الانسان ، فكتب قسسها الكتب وترأسوا دوائر الحكومة واصبح منهم الوزراء والمستشارون ومن بيدهم الحل والعقد ، ومنه تبين أن الكنيسة لم تكن مجرد مؤسسة ولم تكن الثورة ضدها دينية فحسب بل كانت دينية واجتماعية وسياسية (٨٧) . على الرغم من ان اللوثرية كانت موجهة اصلا" ضد البابوية ونفوذها الا انها لم تقف موقفا" حاسما" من الحركة ويرجع ذلك لاسباب سياسية فمثلا" كان موقف البابوية من الامبراطور شارل الخامس الذي اوقع هزيمة بالبرتستانت موقف التخاذل بل وقفت في صف فرنسا ضدالامبراطور وهذا ما اثر فيما بعد على الحركة وافقد قائدها مكانته التي يتمتع بها منذ بدءها(٨٨).

اعتمد لوثر على تعضيد الامراء مما جعل السواد الأعظم من الناس ينفضون من حوله ، وعدم اهتمام لوثر بتجديد وتعريف العقيدة الجديدة كما انه لم يهتم بمسالة نشرها خارج المانيا ويرجع السبب في عدم ذيوع اللوثرية لاسيما مايتعلق بتناول القربان (٨٩). ومما يؤكد موقف لوثر من الامراء محاولته طمانتهم من الشك الذي ساورهم في البداية من نواياه يظهر في تثبت سلطة وبانها الوسيلة التي توفر الامن والاستقرار للفرد المسيحي ، لذلك وجد من الضرورة الانصياع لهذه السلطة وعدم التمرد عليها مهما كانت الظروف ، حيث اعتبر الامراء والنبلاء القاعدة الاساسية لاجراء اصلاحه الديني ، وهكذا فصل بين الايمان الداخلي للفرد وطبيعة السلطة مؤكدا" ان انصياع الفرد المسيحي للسلطة لايعني تخليه عن حريته (٩٠). وقد ساعد الانقسام السياسي الذي عانته المانيا في القرن السادس عشر على انتشاراللوثرية حيث وجد الكثير من الامراء والحكام الالمان في هذه الحركة فرحة لتدعيم مركزهم في ولاياتهم والاستيلاء على ممتلكات الكنيسة (٩١). إن النجاح الذي لعبته حركة لوثر الاصلاحية التي نادى بها بالطرق السلبية لم يلبث ان شجع على ذيوع وانتشار دعوات اخرى للاصلاح الديني في انحاء مختلفة من اوربا على ايدي مصلحين كانوا مترددين في استخدام العنف والقوة في نشر عقائدهم ومذاهبهم الجديدة ومن طليعتهم زونغلي الذي انتشر مذهبه في سويسرا والمانيا الجنوبية وجون كلفن الذي انتشر مذهبه فيما تبقى من اوربا الوسطى والغربية وخاصة في فرنسا والاراضي المنخفضة (٩٢).

(٢٤)

ومهما يبدو من تجمع فئات واسعة من سكان المانيا حول اراء لوثر وشعاراته في المرحلة الاولى والمبكرة من حركته الا ان كل فئة انطلقت من مصالحها الخاصة في تاييد هذه الحركة وهذا يتضح في موقف النبلاء الذي كانوا يطمعون من خلال مشاركتهم الى توسيع ممتلكاتهم بالاستحواذ على ممتلكات الكنيسة الكاثوليكية ، اما عن الانسانيون واسهامهم في هذه الحركة لتحرير الفكرالاوربي من قيود الكنيسة ، وبالنسبة للطبقات الدنيا في المجتمع عنت لها حركة الاصلاح الديني اجراء تغيرات جذرية في الكنيسة والنظام الاجتماعي معا" ، واعتمد لوثر على هذه القاعدة الواسعة لتحدي البابوية التي كانت ترغب في التخلص منه بسرعة ، ولابد من التنويه الى الغموض الذي يكتنف الكثير من اراء لوثر ومبادئه واتسامه بالتذبذب في معتقداته حيث تراجع عن كثير من ارائه المبكرة ، خاصة بعد ان ربط حركته بالامراء الدنيويين (٩٣) .

عمد الكثير من الالمان الى اعتبار الحركة اللوثرية حركة قومية وكانت نظرتهم الى الامبراطور شارل الخامس على انه امبراطور اجنبي ، كما نظروا للبابوية في روما على انها قوة اجنبية اخرى وللكنيسة الرومانية على انها تستحوذ على جزء كبير من ايرادات المانيا ، ونادى لوثر بان المانيا يجب ان تكون للالمان فعمد على تاجيج الحس القومي ولذا

قوبلت حركته في البدء بحماس شعبي منقطع النظير(٩٤).ومهما يكن من امر كانت الحركة اللوثرية ثورة عقائدية بحتة وان تطورت الى ثورة سياسية في مراحلها المتاخرة بما حملته من فكر ومبدأ أيقظ مشاعر المجتمع واثار حماس الامراء في الانظمام اليها ومناصرتها وتبني دعوتها ، وايضا" كانت سببا" في تقسيم المجتمعات الاربية الى كاثوليك وبروتستانت كما فرقت بين الدول الاوربية الى دواة تعتنق هذا المذهب واخرى تعتنق ذاك وكان لهذا كله اثار واسعة داخل المجتمع وبين الدول الاوربية . كما انها غيرت مجرى التاريخ الاوربي واثرت تاثيرا" واضحا" في النظام السياسي والديني لاوربا وكانت سببا" رئيسا" في اضعاف الكنيسة وانقاذ هيبتها في العالم المسيحي وقد قادت هذه الحركة اوربا الى صراع عقائدي وسياسي لمدة ٣٠ عاما" ولم تخمد الا بوفاة حامل لوائها على الرغم من انتشارها الى كافة انحاء اوربا الغربية . في الواقع يظهر ان اعتماد لوثر على الامراء والملوك في تاييد حركته انما ينبع من محاولته لتأطيرها باطار سياسي واضح ليكسب الدعم الحكومي ويظهر ذلك من لجوئه الى الامبراطور شارل الخامس نظرا" لما يتمتع به اولئك الملوك والامراء من سلطات

(٢٥)

واسعة وتأثير عميق لدى عامة الناس بالامكان استغلالها لدعم او نشر أي حركة دينية اوسياسية ذات اهداف واضحة ،وأيضا" لتسخير قواهم العسكرية في الحفاظ عليها والمحاربة الى جانبها في مرحلة المواجهة العسكرية ان اضطر الأمر لذلك.

مصادر البحث:

١. فاضل حسين وكاظم هاشم نعمة :التاريخ الأوربي الحديث ١٨١٥- ١٩٣٩م،بغداد ١٩٨٠،ص٤.
٢. النظام الاقطاعي : يطلق الاقطاع على الروابط الاقتصادية والاجتماعية التي ربطت المجتمعات في غرب اوربا قرون طوال وقد بدأت بذوره اثناء الدولة الرومانية واخذ شكله النهائي خلال القرن التاسع بعد الميلاد واستمر هذا النظام سائدا الى القرن الثالث عشر ثم اخذ في الاضمحلال على ان اثاره لم تمحها الا الثورة الفرنسية ، يراجع ،محمد محمد رفعت و محمد احمد حسونة : معالم تاريخ العصور الوسطى، المطبعة الرحمانية بمصر ،١٩٢٥،ص ٨٨.
٣. محمد مخزوم :مدخل لدراسة التاريخ الأوربي (عصرا لنهضة) ، بيروت ،دارا لكتاب اللبناني ،١٩٨٣،ص٣٣.
٤. عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا ، دار النهضة العربية ، لبنان ، ص١١.
٥. نور الدين حاطوم : تاريخ العصر الوسيط في أوربا ،ج١، دار الفكر الحديث ،لبنان، (د.ت)،ص٣٤٩.
٦. عبد العظيم رمضان :تاريخ اوربا والعالم في العصر الحديث ، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ ، ص١٦.
٧. للمزيد من التفاصيل ينظر:ابراهيم احمد العدوي :المجتمع الأوربي في العصور الوسطى ، دار المعرفة ، القاهرة ، (د. ت) ، ص ص ١٢٣ – ١٢٦ .
٨. علي حيدر سليمان: تأريخ الحضارة الاوربية ، دارواسط ، العراق ، ١٩٩٠ ، ص١٧.
٩.محمد مظفر الادهمي:تاريخ اوربا الحديث عصر النهضة – الثورة الفرنسية ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد، ١٩٨٩ ، ص٦.
١٠. خليل علي مراد ، جاسم محمد حسن وعبدالجبارقادرغفور، دراسات في التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر ،دارالكتب للطباعة ، جامعة الموصل ،١٩٨٨ ،ص٢٩.
١١. ج . و. كوبلاند ، ب . فينو جرادون : الاقطاع والعصور الوسطى في غرب اوربا ، ترجمة : محمد مصطفى زيادة ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص٣٣.
١٢. الطبقة البرجوازية : هي الطبقة الوسطى التي امتهنت التجارة وكونت ثروات ضخمة ساعدتها على منافسة امراء الاقطاع .
١٣. محمد مخزوم : المصدر السابق ، ص ص ٣٢-٣٣ .
١٤. سعيد عبد الفتاح عاشور : اوربا العصور الوسطى ، النهضات والحضارة والنظم ،ج ٢، ط ١٠، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٦،ص ٢٥٥.
١٥. المصدر نفسه، ص ٢٥٩ .
١٦. محمود سعيد عمران : تأريخ أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة الاوربية ، بيروت ٢٠٠٦ ،ص٢٤.
١٧.المصدرنفسه، ص ص ٥٤-٥٥ .
١٨. هارديل (ج .م . والاس) : اوربا في صدرالعصور الوسطى :٤٠٠ – ١٠٠٠م، تعريب وتقديم وتعليق : حياة ناصرالحجي ، الكويت، ١٩٧٩ ، ص٢٣.
١٩. هربرت فيشر، تاريخ اوربا في العصورالوسطى ، ترجمة :محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني ، ط٦ ،دارالمعارف بمصر ،١٩٧٦ ،ص ص ١٩٢-١٩٤ .
٢٠. محمد محمد صالح : تاريخ اوربا من عصرالنهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠- ١٧٨٩م، دارالجاحظ ، بغداد ،١٩٨١ ،ص ص١٧٠-١٧١.
٢١. هارتمان (ل.م) وباراكلاف (ج.) : الدولة الامبراطورية في العصورالوسطى ، ترجمة وتقديم وتعليق : جوزيف نسيم يوسف ، ط٣، الاسكندرية ،١٩٨٤ ، ص٢٧ .
٢٢. محمد محمد صالح : المصدرالسابق ، ص١٧١.
٢٣. سعيد عبدالفتاح عاشور:المصدر السابق، ص١١.
٢٤. المصدر نفسه ، ص١٢.
٢٥. جوزيف نسيم يوسف ، تاريخ العصور الوسطى الاوربية وحضارتها ، ط٢، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧، ص١٦٣.
٢٦. محمد فؤاد شكري ، محمد انيس ، اوربا في العصور الوسطى من النهضة الايطالية حتى الثورة الفرنسية ،ج١ ، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،١٩٦١، ص ١٣.

٢٧.عبدالرحمن بدوي : فلسفة العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص٥٤.
٢٨. محمد فؤاد شكري : المصدر السابق ، ص١٢.
٢٩. جوزيف نسيم يوسف : المصدر السابق ،ص ص١٦٣- ١٦٤.
٣٠. سعيد عبد الفتاح عاشور : المصدر السابق، ص٢٢٨.
٣١. المصدر نفسه ، ص٢١٥.
٣٢. عبد القادر احمد اليوسف : العصور الوسطى الأوربية ٤٧٦- ١٥٠٠ ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص٣٨.
٣٣. الان بالمر : موسوعة التاريخ الحديث ، ج١ ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٢ ، ص٥٨ .
٣٤. فرديناند شيفل : الحضارة الاوربية في القرون الوسطى وعصر النهضة ، دارالعلم ، بيروت ،١٩٥٢، ص٢٣.
٣٥. خليل علي مراد وآخرون : المصدرالسابق ، ص٤٥.
٣٦. شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم : تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة ، المكتب المصري ، القاهرة ،٢٠٠٤ ، ص٤٣.
٣٧. محمود سعيد عمران : تاريخ اوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت، ٢٠٠٦، ص ص ٦١-٦٢ .
٣٨. المصدر نفسه، ص ٢٧.
٣٩. محمد فؤاد شكري : المصدر السابق ، ص١١٣.
٤٠. المصدر نفسه ، ص١١٨.
٤١. محمد فؤاد شكري : المصدرالسابق ،ص ص١١٨- ١١٩.
٤٢. محمد محمد صالح : المصدر السابق ، ص١٧٩.
٤٣. المصدر نفسه : ص١٨٠.
٤٤. المصدر نفسه ، ص١٦٩.
٤٥. عبدالعظيم رمضان : المصدر السابق ، ص١٠٩.
٤٦. خليل علي مراد وآخرون : المصدر السابق ، ص ص٤٥- ٤٦.
٤٧. عبدالعظيم رمضان : المصدر السابق ، ص١٠٩.
٤٨. خليل علي مراد وآخرون : المصدر السابق ،ص ص٤٦- ٤٧.
٤٩. محمد محمد صالح : المصدر السابق ، ص١٧٨.
٥٠. عبدالحميد البطريق وعبد العزيز نوار : المصدر السابق ، ص ص٩٠- ٩١.
٥١.وهو مايطلق عليه باللغة الالمانية المجمع الوطني .
٥٢. علي حيدر سليمان : المصدر السابق ،ص ص٦٨- ٦٩.
٥٣. المصدر السابق : ص٧٣.
٥٤. خليل علي مراد وآخرون: المصدر السابق ، ص٥٠.
٥٥. المصدر نفسه : ص٥٠.
٥٦. محمد قاسم : تاريخ اوربا الحديثة ، القاهرة ، ١٩٣٤، ص١٣٣.
٥٧. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر ، ط٥ ، القاهرة ، ١٩٩٥ ،ص ص٧٧- ٧٨ .
٥٨. نورالدين حاطوم : تاريخ عصر النهضة الاوربية ، دارالفكر ، ١٩٨٦ ،ص ص١٦٣- ١٦٤.
٥٩. علي حيدر سليمان : المصدر السابق ، ص٧٤.
٦٠. المصدر نفسه ، ص٧٤.
٦١. المصدر نفسه، ص٦٧.
٦٢. خليل علي مراد وآخرون : المصدرالسابق ،ص ص٥٣- ٥٤.
٦٣. حسين جميل : نشأة الاحزاب السياسية ، الدارالعربية للموسوعات ،(بيروت ، د.ت) ، ص٤٠.
٦٤. روبرت بالمر: تاريخ العالم الحديث ، ترجمة : محمود الأمين ، مطبعة اسعد ،بغداد، ص١٣٠.
٦٥. شوقي عطا الله الجمل : المصدر السابق،ص ص٤٨- ٤٩.
٦٦. جفري برون : تاريخ اوربا الحديث ، ترجمة :علي المرزوقي ، الاهلية للنشر(د. ت) ، ص١٨٦؛ علي حيدر سليمان : المصدر السابق ، ص٧٥.
٦٧. علي حيدر سليمان: المصدر السابق ، ص٧٥.
٦٨. محمد قاسم وحسين حسن : المصدر السابق ، ص٤٤.
٦٩. المصدر نفسه : ص٤٥.
٧٠. نور الدين حاطوم : عصر النهضة ،ص ص١٦٨- ١٦٩.
٧١. للمزيد من التفاصيل ينظر:محمد فؤاد شكري ومحمد انيس ، اوربا في العصور الحديثة، ج ١، ط٢ ،مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة،١٩٦١ ،ص ١٢٦.
٧٢. روبرت بالمر: المصدر السابق، ص ١٣٣.
٧٣. جفري برون : المصدر السابق، ص ص ١٨٨-١٨٩.
٧٤. المصدر نفسه: ص ١٨٩.
٧٥. للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد فؤاد شكري ومحمد انيس، المصدر السابق،ص ١٢٥.
٧٦. المصدر نفسه : ص ١٢٦.
٧٧. خليل علي مراد واخرون : المصدر السابق ، ص٥٧.

٧٨. علي حيدر سليمان : المصدر السابق، ص ص ٧٧- ٨٨ ؛ جفري برون : المصدر السابق ، ص١٨٩.
٧٩. شوقي عطا الله الجمل : المصدر السابق ، ص٤٩ .
٨٠.محمد فؤاد شكري ومحمد انيس : المصدر السابق ،ص١٢٧.
٨١. مفيدالزيدي : موسوعة تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ، ج٢،دار اسامة للنشر ، الاردن ، ،٢٠٠٤ ص٤٢٧.
٨٢.المصدر نفسه ، ص ص٤٢٤ – ٤٢٥.
٨٣. المصدر نفسه ، ص ص ٤٢٥ – ٤٢٦.
٨٤. عبدالعظيم رمضان : المصدر السابق ،ص١٢٢.
٨٥. للمزيد من التفاصيل ينظر: نور الدين حاطوم ، تاريخ عصر النهضة الاوربية ، دار الفكر دمشق ، ١٩٦٨ ، ص١٦٧.
٨٦. شوقي عطا الله الجمل : المصدر السايق ، ص٤٨.
٨٧. الان بالمر: المصدر السابق ، ص١٣٥.
٨٨. علي حيدر سليمان : المصدر السابق ، ص ص ٦٧- ٦٨.
٨٩. عبد العظيم رمضان : المصدر السابق ، ص١٣٣.
٩٠. خليل علي مراد واخرون : المصدر السابق، ص ص ٥٣ – ٥٤.
٩١. شوقي عطا الله الجمل : المصدر السابق ، ص٥٢ .
٩٢. المصدر نفسه ، ص٥٢.
٩٣. محمد فؤاد شكري ومحمد انيس : المصدر لسابق ، ص ص ١٣٤ – ١٣٥.
٩٤. خليل علي مراد واخرون : المصدر السابق ، ص ٥٤.